قِراءةٌ في كِتاب:

المَعَادُ وَعَالَمُ مَا بَعدَ المَوتِ

نبيل علي صالح[1]

ملخّص

يُعدُّ الإيمان بيوم القيامة والمَعاد، ركنٌ من أركان الإيمان. والإنسان السَّويُّ في فطرته، يُدرك أنَّه لابدَّ من يومٍ تتحقَّق فيه العدالة المطلقةُ التي يفتقدها على هذه الأرض.

وقد حملت رسالات الأنبياء جميعًا -في حيّز كبير ومهم منها- الدعوة للإيمان بالآخرة ويوم المَعاد، وأنَّ الموت ليس عدمًا، وليس نهاية للحياة، بل هو نهايةٌ للحياة بمعناها الأرضيّ، وبدايةٌ ومُقدّمةٌ لحياةٍ أوسع وأعظم، هي حياة ما بعد الموت.

يُسلّط هذا الكتاب -الذي نُراجعه في مقالتنا هذه- الضَّوء على ركنٍ أساس من أركان الإيمان بالإسلام، هو المَعاد، وهو يأتي كمسألةٍ جوهريَّة في مَنظومَة العقائد الدّينيَّة لكلّ الأديان، وبالأخصّ منه عقيدتنا الإسلاميَّة.

يُضيء المؤلف في كتابه هذا كثيراً من النّقاط المُتعلّقة بالمَعاد البشريّ، وعالم ما بعد الموت (كفلسفة الخلق، والعدالة الشَّاملة، وأدلَّة المَعاد، وبقاء الرُّوح واستقلالها، وعلامات يوم القيامة، وغيرها)، نَستخلص من خلالها فكرةً رئيسةً وهي: أنَّ الحياةَ حركةٌ دائمةٌ ومُستمرَّةٌ، والله لم يخلق النَّاس فيها عبثًا، بل لغاية تكامُليَّة كُبرى مَعلُومة. والحياة خالدةٌ بخُلود رُّوح الإنسان، وما يتغيَّر فيها، هو الشَّكلُ والمظهرُ الخارجيُّ؛ حيثُ الانتقال يَكونُ من عالَمٍ أرضيّ إلى آخر يتميَّز بالعدالة المُطلَقة.

الكلمات المفتاحية: الموت، القيامة، الفطرة، المَعاد الروحي والجسماني، العدل.

---

١ - كاتب وباحث سوريّ

بطاقة الكتاب:

اسم الكتاب: المعاد وعالم ما بعد الموت.

المؤلف: آية الله العُظمى ناصر مكارم الشيرازي.

إعداد: عبد الرحيم حمراني.

الناشر: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في قم/إيران.

مكان وتاريخ النَّشر: إيران-قم عام ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

عدد صفحات الكتاب: ٢٦٤ صفحة.

مُحتَوياتُ الكتَاب:

الكتاب لم يُكتب بطريقةِ الأبواب والفُصول، بل عالج الكاتِب مسائل كثيرةً، لها علاقة بموضوع المَعـاد وعالم ما بعد المـوت، سنُدرج العناوين كما وردت، وسنتحـدَّث عن أهمّ مضمون كل عنوان من العناوين، وهي:

- ماذا نعلمُ عن عالَم ما بعد الموت؟
- هل الموت هو نهاية الحياة، أم بداية حياةٍ جديدةٍ؟
- جُذور المَعاد في أبعاد الفِطرة.
- نوافِذ على العالَم الآخر.
- القيامَة تَهَب الحياةَ نكهتها.
- عامِلٌ تربويٌّ مُؤثّر.
- القِيامة في باطِنكم.

- القِيامة ردود على الألغاز.
- القِيامةُ في الكُتب السَّماويَّة.
- القُرآن والآخرة.
- الطَّريق الثَّاني: تكرُّر رؤيتنا للقِيامة.
- الطَّريق الثَّالث: مَعاد الطَّاقة وقيامتها.
- قِيامة الطَّاقة بعد موتها.
- الطَّريقُ الرَّابع: لِمَ القيامة ليست مُمكنة؟
- الطَّريقُ الخَامس: أصحابُ الكهف.
- حقيقةٌ أم خيال.
- الطَّريق السَّادس: فترة الجَنين شبحٌ من القِيامة.
- القِيامَة في تَجلّيَات الفِطرة.
- الأدلَّة العقليَّة للمَعاد.
- الدَّليل العقليُّ الأوَّل: العدالةُ الشَّاملَةُ.
- الدَّليل العقليُّ الثَّاني: تقولُ فلسفةُ الخلق هُنالك عالم بعد الموت.
- الدَّليلُ العقليُّ الثَّالث: لو كان الموت نهايةً لكان خلق الإنسان عبثًا.
- الدَّليلُ العقليُّ الرَّابع: بقاءُ الرُّوح علامةٌ على القِيامة.
- استقلال الرُّوح.
- أدلَّة استقلال الرُّوح.
- المَعاد الجسمي والرُّوحيُّ.
- علاماتُ القِيامةِ.

مُقَدّمَةٌ

يَعتبر المُؤلف في مُقدّمة الكتاب، أنَّ الإيمـان بالمعاد، هو «الإيمان بمحكمة العدل الإلهيّ الَّتي لَيس لها أيُّ شـبه بمحاكم الدُّنيا، وهذا العالَم الـذي نعيش فيه. فجميع الأعمال حاضرةٌ

لديه: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً﴾ [الكهف: ٤٩]. والسّجلُّ يضمُّ الأعمال كافّةً، بغضّ النَّظر عن صِغرها وكِبرها: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيْرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩]"[١]. ويؤكّد الكاتب على أنَّنا، نحن الذين ينبغي علينا أن نقرأ ملفَّ أعمالنا، كما علينا أن نقضي بشأن أنفسنا ونحكُم فيها: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾ [الإسراء: ١٤]، ونحن الَّذين سنُدلي بشهاداتنا على أعمالنا بما في ذلك أعضاؤنا وجوارحنا التي ستشهد في تلك المحكمة: ﴿وَشَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ﴾ [فصلت: ٢٠][٢].

أَوَّلًا: عَالَمُ مَا بَعدَ المَوت

يَطرح المُؤلّف في الفقرة الأُولى من كتابه أسئلةً عديدةً عن: «هذا التَّعطش الكبير للبشريَّة جمعاء في مُحاولتها معرفة عالم المَوت، وما بعد الموت، وهل ستستمر الحياة في إطار أُفق أوسع وأشمل أم لا؟ وهل أنَّ ظروف الحياة في العالَم الآخر، هي ذاتها بالنّسبة للحياة في هذا العالَم، أم حالنا -بالنّسبة إلى حقائق ذلك العالم- حالَ الجنين الذي لا يُمكنه أن يتصوَّر أوضاع الحياة خارج رحم أمّه؟! وهل الموت أليم؟ ما الذي يشعر به الإنسان حين الموت؟ هل تبقى الرُّوح مع تعفُّن الجَسد وتآكله؟ ثُمَّ ما هي الرُّوح؟ وكيف يُمكنُ التَّعرفُ عليها والارتباط بها من وجهة النَّظر العِلميَّة والفَلسفيَّة؟ ...»[٣]. أسئلةٌ كثيرةٌ يطرحُها المُؤلّف، مُحاولاً في كتابه هذا مناقشتها وتحليلها والإجابة عنها.

وفي سُؤاله عن طبيعة المَوت، وهل أنّ الموت هو نهاية الحياة أم بداية حياة جديدة؟ يَتحدَّث الكاتب عن الموت، ويصفه بأنَّه ليس مُخيفًا، وليس بهذا الرُّعب؛ «حيث أنَّ النَّاس ورغم كل اختلافاتهم وتَنوُّع مَشاربهم الفِكريَّة والعقائديَّة، سيُبلغون -شاءوا أم أبوا، وكيفما تحرَّكوا وانطلقوا- نُقطةً مُشتركةً، تتمثَّلُ بالموت واختتام هذه الحياة. فنُقطة انطلاقة الحياة -غنيَّة كانت أم فقيرة، وفي وسط الجهل كانت أم العلم، ومقرونة بالسعادة أم الشقاء- سيأتي عليها الموتُ بغتةً، فيجعل الجميعَ يعيشون حالةً واحدةً، تسودهم فيها المُساواة التَّامَّة المُطلقة، التي يعجز الكلُّ عن الإتيان

١ - انظر: مكارم الشيرازي: المعاد وعالم ما بعد الموت، ص٦.
٢ - مكارم الشيرازي: المعاد وعالم ما بعد الموت، ص٦-٧.
٣ - مكارم الشيرازي: المعاد وعالم ما بعد الموت، ص١٠-١١.

بها. والحياةُ الأبديَّـةُ -في الدُّنيا- متعذّرةٌ مُحالةٌ؛ حيثُ إنَّ طولَ العُمر لا يعني الأبديَّة قَطّ، وعلى هذا الأسـاس، يتَّفق جميعُ الأفراد على الإيمـان بالموت، رغم الفوارق الفِكريَّة الَّتي تَسـودُهم ...»[1]. ويَعتقد الكَاتب، أنَّه «من الخِفَّة العقليَّة محاولة نسيان أو تناسي شيء لا ينسانا أبدًا (يقصد المـوت)، وهذا أَسوأ سُبـل مواجهة الحقائق المَريرة، إنَّه حالةٌ تهرّب مـن إدراكها واستيعابها أو إيداعها بوتقة النّسيان ... «[2]. وسببُ هذا النّسيان أو التَّناسي، أو هذه الغفلة، يعود إلى الخَوف والقلق الوُجوديّ في داخل الإنسان؛ حيثُ يتصوَّر أنَّ المَوتَ عدمٌ وزوالٌ كاملٌ دائمٌ، وفناءٌ مُطلقٌ.

ثَانيًا: جُذُورُ المَعاد في أَعماق الفطرَة

يَطَـرحُ الكَاتب أمام القُرَّاء هَواجسَ رُّوحيَّة عن مسـألة المَوت، فهناك إشـارات وتنبيهات غير مَنظُورة، ولا أحد يعلم مَصدرها، يُصطَلَح على تسـميَتها بالفِطرة؛ حيثُ نَحصُل من خلالها على إلهاماتٍ، والإيمان بالحياة بعد الموت، هي واحدةٌ من تلك الإلهامات الَّتي تأتينا من دون معرفةٍ جِهتها ومصدرها. ويعتقدُ الكاتب بأنَّه «لدينا عِدَّة شواهد تاريخيَّة تفيد عمق إيمان البشريَّة -على مدى التَّاريخ، بل في العصور الَّتي ما قبل التاريخ- بالحياة الآخرة بعد المَوت، والدَّليل على ذلك الآثـار المُختلفة الَّتي خلَّفها قُدماءُ النَّاس، وكيفيَّة بناء قبورهم، والأشـياء الَّتي كانوا يدفنونها في التُّراب مع موتاهم، والَّتي تفيد إيمانَ الإنسـان بحياة ما بعد الموت على ضَوء إلهاماته الباطنيَّة، حيثُ لا يُمكن التَّصديق بأنَّ المسألةَ ليست فِطريَّة، وقد تمكَّنت من الحفاظ على قُوَّتها ورسوخها إلى هذه الدَّرجة طيلة التاريخ، ولما قبله إلى أبعد العُصور والأزمنة، حتَّى بقيت عالقة في الأذهان ...»[3]. ويُقدّم لنا الكَاتب عِدَّةَ أمثلة بارزة على إيمان الإنسان القديم بالموت والمَعاد، وما تقدَّم من قضايا مُتعلّقة به، ومنهـا أيضًا، مُجتمعات الحضارات القديمة كالحضارة المصريَّة العريقة، في مُحاولة فَهم مسـألةِ المَوت، والإيمان بوجود الحياةِ بعد الموت، وأنَّ للإنسان مَعاد في عالَم غير عالم الدُّنيا.

ويُوجَّهنا الكَاتب، إلى ضَرورة معرفـة تلك الهواجس الرُّوحية، والإلهامات الفِطريَّة النَّابعة من

١ - مكارم الشيرازي: المَعاد وعالم ما بعد الموت، ص١٨-١٩.

٢ - مكارم الشيرازي: المَعاد وعالم ما بعد الموت، ص٢٢.

٣ - مكارم الشيرازي: المَعاد وعالم ما بعد الموت، ص٢٨.

الفطرة؛ حيثُ إنَّها قد تنحرف وتصل إلى أمكنة غير صحيحة، بعيدة عن أصل الفطرة الَّتي أودعها الله -تعالى- في الإنسان، بما يعني أنَّه "لابُدَّ من سَقي شجرة الإلهامات الفطريَّة بماء العلم على الدَّوام لتؤتي أُكلها كلَّ حين، وإلَّا فإنَّ تلك الإلهامات ستكون مَشوبةً بأنواع الخُرافات والأباطيل، وقد تُعطي أحيانًا نتائجَ معكوسةً"[١].

ثَالِثًا: القِيَامَةُ تَهَبُ الحَيَاةَ نَكهَتَهَا

يَعتبرُ الكَاتب "أنَّ للإيمان بالقِيامة والبعث آثاره ونتائجه في شكل الحياة البشريَّة، ولو لم تكن هناك من حياة بعد الموت لكانت الحياة في هذا العالم جَوفاء وتافهة لا قيمة لها، يقول -تعالى-: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ الَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾ [المؤمنون: ١١٥] ..."[٢].

ويُبيّن لنا الكاتب أنَّ «من يُؤمن بذلك العالَم يكون غايةَ الجديَّة في إصلاح نفسه، والإتيان بمُختلف الأعمال الثَّقيلة والمُعقَّدة ...، والإيمان بهذه الحقيقة يبلغ بالإنسان درجةً يجعله يقول، كما كان الإمام علي عليه السلام يقول: «وَاللَّهِ لَئِنْ أَبِيتُ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً، أَوْ أُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّداً، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِمًا لِبَعْضِ الْعِبَادِ، وَغَاصِبًا لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ ... »[٣].

وهذا الإيمان كامنٌ أوَّلاً في باطن الإنسان؛ "حيثُ تُوجدُ مَحكمة صغيرةٌ يصطلح عليها اليوم "الوجدان" ويُسمّيها الفَلاسفة "العقل العمليّ"، وهي وردت على لسان الآيات القرآنيَّة باسم "النَّفس اللَّوامة"، ويُطلقُ عليها العرب اسم "الضَّمير"، وحقًّا إنَّها لمَحكمة عجيبة لا تَعدلها محاكم الدُّنيا كافَّة، بكلّ أجهزتها وأُبهتها وعرضها وطولها ...، وقد قرن -تعالى- محكمة الضَّمير بالحديث عن البعث والقيامة العظيمة الَّتي وردت في القرآن الكريم: ﴿**لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ * أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ**﴾ [القيامة: ١-٤] ..."[٤].

---

١ - مكارم الشيرازي: المعاد وعالم ما بعد الموت، ص٣٤-٣٥.
٢ - مكارم الشيرازي: المعاد وعالم ما بعد الموت، ص٤٥-٤٦.
٣ - مكارم الشيرازي: المعاد وعالم ما بعد الموت، ص٥٤.
٤ - مكارم الشيرازي: المعاد وعالم ما بعد الموت، ص٥٩-٦٢

رَابعًا: القيامَةُ في الكُتُب السَّماويَّة

يَعتَبرُ الكَاتب: "أنَّ 'اليهود' ركَّزوا جهودَهم -إثر غرقهم في الماديَّات وسجودهم للثَّروة- على محو آيات القيامة، ليتسنَّى لهم مواصلة أعمالهم دون تأنيب من ضَمير ...، وأمَّا 'النَّصارى' فقد اقتعلوا الآثار التَّربويَّة للإيمان بالقِيامَة على ضَوء مسألة الفداء والخَلاص بواسطة السَّيّد المَسيح عليه السلام وصُكوك غفران القَسَاوسَة. فقد تضمَّنت رسالةُ الأنبياء والمُفكرين إلفات انتباه الإنسان إلى أمرين والإجابة على لُغزين؛ هُما بداية الخليقة ونهايتها، وبعبارةٍ أُخرى المبدأ والمعاد، ومن المُسلَّم به أنَّ فهم معنى الحياةِ لا يتيسَّر دُون فَهم الأمرين المَذكورين، وكذلك يتعذَّر دون فهمهما المعرفة الواقعيَّة للعالم"[1].

ويُوضّح الكَاتب أنَّ اليهودَ لم يهتمُّوا كثيراً في كُتبهم المُقدَّسة (المُحرَّفة) بقضيَّة القِيامة، رغم وجود تعبيرات واضحة يمُكن مُشاهدتها بهذا الخُصوص في بعض نصوصهم التَّوراتيَّة في العهد القديم. "نقرأ في الكتاب الأوَّل لصاموئيل: 'إنَّ اللَّه يُحيي ويُميت ويَقبر ويَبعث'. والعبارة -كما يُفهم منها- تدلُّ صراحةً على المَعاد الجسماني، إضافةً إلى أصل القِيامة، فالقبر مكانُ الجسم الَّذي يتبدَّل فيه إلى تُراب، وإلاَّ فالقبر لا يضمُّ الرُّوح لتنبعث منه، وهذا يُشبه ما ورد في القرآن الكريم: ﴿**وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِى الْقُبُورِ**﴾ [الحج: ٧]"[2].

كما يُبيّن الكَاتب، أنَّ الأناجيل الأربعة كانت أكثر وضوحًا في إظهار موقف المسيحيَّة من يوم القيامة والمَعاد؛ "حيثُ نقرأ مثلاً في إنجيل يحيي: 'ستأتي السَّاعة التي يسمع فيها كل من في القُبور ندائه فينهضون، فمن عمل عملاً حسنًا له قيامة الحياة، ومن عمل عملاً سيّئًا له قيامة الحساب'. والمُراد بقِيامة الحياة هو الحياة الخالدة في النّعم الإلهيَّة الَّتي تمُثّل ثوابَ المُحسنين، والمقصود بقيامة الحِساب، هو عقاب المُسيئين بمُقتضى حساب اللَّه وعدله، وأخيراً فالعبارة -بالنَّظر لذكرها القبور التي تمُثّل موضوع جسم الإنسان- إشارة إلى المعاد الجسماني"[3].

أمَّا بخُصوص القُرآن الكَريم والآخرة، فيتحدَّثُ المؤلّفُ عن طرقٍ عديدة[4]:

---

١ - مكارم الشيرازي: المعاد وعالم ما بعد الموت، ص٦٩ وما بعدها.

٢ - مكارم الشيرازي، المعاد وعالم ما بعد الموت، ص٧٣.

٣ - مكارم الشيرازي، المعاد وعالم ما بعد الموت، ص٧٤.

٤ - راجع: مكارم الشيرازي، المعاد وعالم ما بعد الموت، ص٧٦-١٢٠.

١. التَّذكـير بالخَلق الأوَّل: قوله -تعالى-: ﴿**أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ [ق: ١٥].

٢. تكـرُّر رؤيتنا للقِيامـة: يُعطينا الكَاتب أمثلـةً للمُقارنة، منها أنَّنا نمـرُّ كثيرًا على وقائع وأحداث في الحياة والطَّبيعة تتكرَّر أمامنا، ونرى فيها تكرارًا لقضيَّة إحياء المَوتى، غير أنَّها وبسبب تعايُشنا معها لا تسترعِي انتباهنا كثيرًا.

٣. مَعاد الطَّاقة وقِيامتها: يَعتبر المُؤلّف أنَّ الشَّـمس هي أصلُ كلّ أشـكال وأنواع الطَّاقات الموجودة على الأرض سوى الطَّاقة النَّووية، فمثلاً حين يُحرق الخشب والحَطب وأوراق الأشجار اليابسة، فإنَّ الحرارة والضَّوء المُنبعث منها، هو عبارة عن الحرارة والضَّوء التي خزنتها تدريجيًّا لسـنوات طويلة من الشَّـمس، وهي تفقدهـا الآن جميعًا خلال لحظةٍ واحدة، أو عِدَّة ساعات، وكأنَّها قد جرت إلى عَرصَة القِيامة. وبالعودة إلى القُرآن الكريم، سنرى كيف يبحث هذه المسألة، حيثُ ورد الحديثُ ضِمن المَعاد وعالَم الآخرة، فالآيات الأخيرة من سورة "يس" مُواصلة للبحث بشـأن القِيامة والمَعاد، يقول -تعالى-: ﴿**الَّذِى جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّـجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا انْتُـمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ**﴾ [يس: ٨٠]، وما ينبغي الالتفات إليه هنا هو أنَّ لهذه الآية كسائر الآيات القرآنيَّة عِدَّة معانٍ: بعضها بسيطة ليفهمها عامَّة النَّاس في كل عصر ومصر، وبعضها الآخر عميقة للخواص، وبعضها الثَّالث أكثر عُمقًا للنُّخبة من الخواص، أو للعصور والقرون القادمة (بالنسـبة لزمان نزول الآية).

٤. التَّوجُّه لمظاهر قدرة الله -تعـالى- والتَّذكير الدَّائم بها؛ حيثُ يقول -عز وجل-: ﴿**أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَ السَّـمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَـمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحِىَ الْمَوتى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىءٍ قَدِيرٍ**﴾ [الأحقاف: ٣٣].

٥. قصَّة أصحـاب الكهف: وهي قصَّة معروفة؛ حيثُ كانت تلـك الحادثة درسًا عظيمًا بالنّسـبة لأولئك الذين ينظرون بعين الرَّيب والشَّـك إلى موضوع القِيامة، فإنْ كانت الحيـاةُ بعد النَّوم الطَّويل مُمكنة، فإحياء المَوتى هو الآخر لا يبدو مُسـتبعدًا، فكانت تلك الحادثـة انعطافة كبيرة في ثقافتهم الدينيَّة، وهذا هـو الطَّريق الآخر الذي سلكه القـرآنُ الكريم، بهدف إزالة قضيَّـة استبعاد المَعاد وتقريبها إلى أذهـان عامَّة النَّاس، يقـول -تعالى-: ﴿**إِذْ أوى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئ**

لَنَا مَنْ أَمْرِنَا رَشَداً* فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِى الْكَهْفِ سِنِيْنَ عَدَداً * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِما لَبِثُوا أَمَداً﴾[الكهف: ١٠-١٢].

٦. فترةُ الجَنين (شبحٌ من يومِ القِيامة)؛ حيثُ يؤكّد المؤلّف على أنَّه "إذا أردنا أنْ نُجسّدَ شبحَ القِيامة، ونُقارنه بوضع الحياة في هذا العالم، فإنَّ أفضلَ طريق لذلك، هو ما نُفكّر به حول الإنسان في عالم الجَنين، والذي يبلغ العقل والشعور ثُمَّ يُفكّر في المراحل الَّتي تَعقُب الولادة، فسوفَ يكتشفُ من خلال القرائن: أنَّ مُحيط الرَّحم محدودٌ جدًّا، ولذَّاته زهيدة، وإمكاناته قليلة ومدَّته قصيرة، مثل محيط هذا العالم إزاء العالَم الآخر بعد الموت، فهو صغير ومحدود وزهيد وقصير المُدَّة. وأنَّ الفترة التي يعيشها الجنين، هي فترة استعداد وتأهُّب من أجل القدوم علي مُحيط أوسع وأكبر كهذا العالم -لا أنَّها فترة مثاليَّة مُستقلة- فهي بمثابة الحياة في هذا العالم؛ حيثُ تُعتبر هذه الحياة مرحلةَ استعدادٍ وتأهُّب لتلك الحياة الخالدة في العالَم الآخر. وأنَّ حياة الجَنين تَنطوي على أنواع المشكلات والويلات، كالحياة الدُّنيا في هذا العالم إزاء الحياة الآخرة، مَشوبةً بمُختلف الكُدورات والمُنغّصات"[١].

خَامسًا: القِيَامَةُ في تَجلّيَات الفطرَة

يَطرح الكَاتبَ أسئلةً عدَّة حيويَّة للإضاءة على موضوعَة الفِطرة، مُحاولاً الإجابة عليها في سِياق هذه الفقرة من كتابه؛ "حيثُ يسأل: إنْ خُلِقْنا للفناء فكيفَ نُفسّرُ غريزةَ حُبّ البقاء؟ ولو لم تكن القِيامةُ قضيَّةً فِطريَّةً، لماذا لم تنفكْ هذه العقيدة عن البشر على مدى التَّاريخ؟ فليس من المَعقول أن تكون هناك في باطننا محكمة، وليس هنالك من حِساب وكتاب في هذا العالم الكبير! والفِطرة -كما يُبيّن الكَاتب- هي أوَّل دليل على الطَّريق؛ حيثُ يجب أن نترك كلَّ شيء جانبًا، لنستمع إلى النّداء الَّذي ينطلق من باطننا، فهل هناك تنبيه وجدانيٌّ على الحياة بعد الموت؟ وما معنى الحُب لو أنَّنا فقط خُلقنا للفناء والعدم؟ ولو كان الأمر كذلك لكان هذا الحبُّ والرغبة ضربًا من العبث واللغو ..."[٢].

---

١ - مكارم الشيرازي: المعاد وعالم ما بعد الموت، ص١٢٠ وما بعدها.

٢ - مكارم الشيرازي: المعاد وعالم ما بعد الموت، ص١٢٩.

سَادسًا: الأدلَّة العَقليَّةُ عَلى المَعاد

يبحثُ الكَاتِب في الأدلَّة العقليَّة للمَعاد، وهي بنظره أربعة:

١. الدَّليلُ الأوَّل:

هناك مَحاكم عديدةٌ في هذه الدُّنيا، يحاول الإنسان من خلالها تطبيق العدالة، وهي مَحكمة الضَّمير الخاصَّة، ومَحكمة الآثار الطَّبيعيَّة للعمل ذات التَّوجُّه العام، ومَحكمة جزاء الأعمال، والمَحكمة الرَّسميَّة البشريَّة. ولكن لا يُمكن لأيّ من هذه المَحاكم أن يكون لها بُعدٌ عام وشامل؛ بحيثُ تُنزل العقاب بكافَّة الجُناة والمُجرمين لارتكابهم أيَّة جُنحة أو جِناية بعد مُثولهم للمُحاكمة، و كأنَّها بمنزلة إخطاراتٍ وإشعاراتٍ مُتتاليةٍ، تهدف إلى تربية البشر وإيقاظهم. فقانون العدالة في عالم الوُجود ليس في الدُّنيا، ولابدَّ أن نرى هنا: هل يُمكن الوُثوق بوجود عدالة عامَّة وشاملة ما وراء هذه الحياة، أم أنَّ البشريَّة تنتقل من هذا المكان دون أن تُوفىَّ حسابها، وليس هناك من شيء ينتظرها؟! ولو ألقينا نظرة إلى الحياة البشريَّة الَّتي تُشكّل جانبًا صغيراً جدًّا من نظام الخِلقة، وطالعنا بصورةٍ عامَّة الوضع العام لعالم الوجود، لرأينا قانون "النّظام والعدالة" يحكم جميع الأشياء، والقانون المَذكُور على درجة من القُوَّة، بحيثُ إنَّ أدنى انحراف عنه يُؤدّي إلى فناء كل شيء ..."[١].

٢. الدَّليلُ الثَّاني:

وهو دليلٌ خاص بفلسفة الخَلق وعالم ما بعد الموت؛ حيثُ يُؤكّد لنا الكَاتب "أنَّ فلسفة الخَلق والوُجود الإلهيَّين وقانون التَّكامل، كلُّها تقول للإنسان أنَّه لا يُمكن للموت أن يكون نهاية الحياة، وستستمرُّ الحياة بشكلٍ أرفع وأسمى بعد المَوت. وهذا المَنطق له انعكاسه في القرآن الكريم، ومثالها الآيات الواردة في سورة الواقعة، من الآية ٥٧ إلى الآية ٧٣، والَّتي يشرح فيها -تعالى- فلسفةَ الخَلق وقانون التَّكامل ..."[٢].

---

١ - مكارم الشيرازي: المعاد وعالم ما بعد الموت، ص١٣٢ وما بعدها.

٢ - مكارم الشيرازي: المعاد وعالم ما بعد الموت، ص١٣٩ وما بعدها.

٣. الدَّليلُ الثَّالثُ:

وهو الدَّليل المُستند إلى فِكرة، لو أنَّ الموتَ نهايةُ كلّ شيءٍ، لكان خلق الإنسان عبثًا، وقد أشار القُرآن في عدَّة مواضع إلى هذا الاستدلال؛ حيثُ أورده على سبيل الاستفهام الإنكاري: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَ أَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾[المؤمنون: ١١٥]. فقد شبَّهت الآية عدم الرُّجوع إلى اللَّه (يعني البعث والقِيامة واستمرار الحياة والحركة نحو النُّقطة اللامُتناهية للوجود) بالبعث، أي أنَّ الخليقة ستنتهي إلى العبثيَّة، لو لم يكُن هناك من مَعاد وحياة بعد الموت، ﴿**أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى* أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوّى* فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثى* أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى**﴾ [القيامة: ٣٦-٤٠]. فلو كان كلُّ شيءٍ ينتهي بالموت لكان الخلق عبثًا مُهملاً، ومن هنا قال بعض المُفسّرين أنَّ المُراد بالإنسان في الآية المذكورة هو: 'الْكَافِرُ بِالْبَعْثِ الْجَاحِدُ لِنَعِمِ اللَّهِ' ...."[١].

٤. الدَّليلُ الرَّابعُ:

وهو ينطلق من فكرة أنَّ بقاء الرُّوح علامةٌ على القِيامة والمَعاد، ويُبيّن الكَاتب أنَّ الرُّوح بطبيعتها مُستقلَّةٌ عن الجَسد، ومجردَّة. وبالتَّالي، لا بدَّ أن تكون باقية، ويشرح لنا الكَاتب أنَّ "الرُّوح تختلف في بنيتها ونشاطها عن بنية عالَم المادَّة ونشاطه. نعم، هي مُرتبطةٌ دائمًا بعالَم المادَّة ولكنّها لا تتَّصف بخصائص المادَّة، وللفلاسفة الَّذين يقولون بتجرُّد الرُّوح أدلَّتهم: (وحدة الشَّخصية - عدم تطابق الكبير والصَّغير - الظَّواهر الرُّوحيَّة ليست كالكيفيَّات الماديَّة - الارتباط بالأرواح - التَّنويم المغناطيسيّ - النَّوم الاعتياديّ والرُّؤيا - الأعمال الخارقة للمُرتاضين - انتقال الفكر من بعيد). وبالنَّتيجة الَّتي يمُكن أن نَخلُص إليها من مَجموع الأبحاث ذات الصّلَة بتجرُّد الرُّوح بما فيها الأدلَّة العلميَّة والتَّجريبيَّة، هي أنَّ الرُّوح حقيقةٌ فوق المادَّة. وعليه، فليس لخواص المادَّة من قبيل الفناء والعدم والتَّآكل من سبيلٍ إليها، وهكذا فهي تستطيع البَقاء بعد فناء البدن، وإثبات بقاء الرُّوح بعد الفَناء، وإنْ تفاوتَ مع مسألة المَعاد والقِيامة، ولكن مع ذلك، فهو خُطوة باتّجاه القِيامة والعالم الأبديّ الَّذي يَعقُب المَوت، وسيكون ردًّا على أولئك الَّذين يرون الموت آخر مراحل الوُجود الإنسانيّ ونُقطة زواله وفَنائه، ويعتقدون أنَّ الإنسان حينَ يموت يعود إلى عالَمٍ

١ - مكارم الشيرازي: المعاد وعالم ما بعد الموت، ص١٤٦.

ميِّت، فتضيع ذرَّات وُجودِه في طيات التُّراب والماء والهواء، وينتهي كلُّ شيءٍ ..."[1].

سَابعًا: المَعادُ الجِسمَانيُّ والرُّوحَانيُّ

ويُناقش الكَاتب فِكرَةَ المَعادَ الجِسميّ والرُّوحيّ؛ حيثُ يستعرض لنا عدَّة نظريَّاتٍ بهذا الخُصوص، وهي:

١. نظريَّةُ المَعاد الرُّوحيّ:

يُبيّن الكَاتب "أنَّ أغلب فلاسفة القُدماء هم من أنصار هذه العقيدة؛ حيثُ يزعمونَ أنَّ الرُّوح تنفصل للأبد عن البدن حين الموت، وتَبقى في عالم الأرواح، وبناءً على ذلك فإنَّ مسألة المَعاد لا تنطوي على مَفهوم، فليس هناك من عودةٍ، بل تُواصِل الرُّوح بقاءها، إنَّهم يعتقدون كما أنَّ الفرخَ يحتاج إلى مُدَّةٍ يقضيها داخل البيضةِ، وكذلك الجنين في بطن أُمّه، فإنْ طَوَى مسيرته التَّكامُليَّة وانفصل عنه، فإنَّه لن يعودَ إليه أبدًا، لا الفرخ إلى داخل البيضة، ولا الجنين بعد الولادة إلى رحم الأمّ، والإنسان كذلك، وبناءً على هذا: فإنَّ لجميع الثَّواب والعِقاب واللذَّة والألم بُعدٌ رُّوحي في العالم الآخر بعد الموت".

٢. نَظريَّةُ المَعاد الجِسمَانيّ والرُّوحَانيّ:

هو الرَّأي الَّذي اختارته طائفةٌ من العُلماء والفلاسفة القُدماء والمُعاصرين، وقد أيَّدت الآيات القُرآنيَّة هذا الرأيَّ، في أنَّ الأجزاء المُتناثِرة من البدن ستُجمع يومِ القِيامة وتُجدَّدُ وتكتسب الحياة، طبعًا على مُستوي أرفع وفي عالم أرقى وحياة أسمي.

٣. نظريَّةُ المَعاد الرُّوحيّ وشِبه الجِسميّ:

يري بعض الفلاسفة القُدماء والرُّوحانيّين، أن لا عودةَ لهذا الجِسم الماديّ والعُنصريّ، فإن انفصلت الرُّوح عن البدن قَرَّت في جِسمٍ لطيفٍ فعَّال للغاية، من حيثُ الزَّمان والمكان، وحتَّى

١ - مكارم الشيرازي، المعاد وعالم ما بعد الموت، ص ١٥٢-١٩٣.

قادر على اجتياز الموانع، وليس للفناء والفساد من سبيلٍ إليه، وبه تُواصل حياتها الخالدة. وفي الحقيقة، إنَّ هذا الجسم ليس كالمادَّة، ولكن حيثُ يُشبه هذا الجِسم من بعض الجوانب كصورته، ويُعتبر مثله منه فقد اصطلحوا عليه باسم "الجسم المثالي".

٤. نَظريَّةُ المَعاد جسمانيٌّ فَقط:

"وهو رأي بعض قُدَماء العُلَماء والمُعاصرين، الَّذين يعتقدون بأنَّنا إنْ متنا انتهي كلُّ شيء، بالضبط كالمُولّد الكهرُبائيّ، الذي ينتهي فتنفد طاقته وتزول مادَّته، وحينما تأتي القِيامة تجمع الأجزاء المُتلاشية لهذا المُولّد الكَهرُبائيّ -أي بدن الإنسان- وتلحق مع بعضها وتكتسب صِبغة الحياة، وبالطَّبع فإنَّ الرُّوح بفضلها من آثارها وخواصّها كالطَّاقة بالنّسبة لذلك المُولّد الكَهرُبائيّ تعود إليها"[1].

ويعالجُ الإسلامُ مسألة المَعاد ويوم القِيامة، من خلال القرآن الكريم، "فهذا الكتاب السَّماويُّ تحدَّثَ في أكثر من موقع عن المَعاد الجِسماني (طبعًا المقرون بالمعاد الرُّوحاني)، وأدنى معرفة بالآيات القرآنيَّة تكفي لنفي اقتصار المَعاد على البُعد الرُّوحانيّ؛ لأنَّ القُرآن يهدف لتقريب المَعاد إلى أذهان المُنكرين، وهو ضَربَ أمثالاً رائعة للردّ على إيراداتهم، وهي ممزوجة بنوع من الاستدلال الحيّ؛ حيثُ أراد تجسيد قضيَّة المَعاد والقِيامة إلى حدّ المُشاهدة والإحساس لدى النَّاس. ولذلك، فإنَّ جميع هذه الأمثلة والتَّشبيهات القُرآنيَّة بشأن المَعاد، إنَّما تُؤيّد المَعاد الجِسمانيَّ. فأحيانًا يدعو القرآنُ الكريم النَّاسَ إلى مُشاهدة تكرار عمليَّة المَوت والحياة في عالم النباتات، وكيف تُكرَّر قضيَّة المعاد كلَّ سنة أمام الأعينُ؛ إذ إنّ الأرض تتَّجه في فصل الخريف تدريجيًّا نحو الموت، فتكتسبُ الزُّهور والأغصان والنَّباتات صِبغة المَوت، وتموت في الشّتاء، ولكنّها تستعيدُ الحياةَ من جديد حين يُداعبها نَسيم الرَّبيع، وتتساقط عليها قطرات المَطر. فهل يفيد هذا سوى المَعاد الجسماني؟"[2].

ويُوضّح لنا الكَاتب طبيعةَ المَعادِ الجِسمانيّ في ضوء العقل؛ حيثُ يُبيّن "أنَّ العقل يقول بأنَّ الرُّوح والبدن حقيقتان لا تنفصلان عن بعضهما، بل هما متَّصلتان تمامًا، فهما معًا كلزوم 'المادَّة'

١ - مكارم الشيرازي، المعاد وعالم ما بعد الموت، ص١٩٨ وما بعدها.

٢ - مكارم الشيرازي، المعاد وعالم ما بعد الموت، ص٢٠٠.

لملزومها 'الطَّاقة'، فهُما يتكاملان معًا، وعليه فاستمرار بقاء أي منهما -لمُدَّة طويلة- ليس بمُمكن، هذا من جانب، ومن جانبٍ آخر فكما أنَّ جِسم إنسانَين لا يتشابهان قَط من جميع الجهات، وبشهادة التَّحقيقات الواسعة الَّتي تمَّت بشأن الأفراد، فإنَّه لا يتشابه فردان حتَّى في بنانهما، فإنَّ رُوحين لا تتشابهان أبدًا، وكما أنَّ الجسم ناقصٌ بدون الرُّوح فإنَّ الرُّوح تنقص دون الجسم، وإنْ انفصلا عن بعضِهما في عالَم البرزخ (العالَم الفاصل بين الدُّنيا والآخرة) فإنَّه انفصالٌ مُؤقَّت تكونُ فعاليَّة الرُّوح فيه محدودة، ولذلك ليس للحياة البَرزخيَّة سعة الحياة لعالم القِيامة أبدًا ...»[1].

وعلى ضَوء ما تقدَّم، يُناقش المُؤلّف أربعةَ إشكالات، قام الكَاتِب ببحثِها والتَّدقيق فيها، وهي:

١. شُبهة الأكل والمأكول.
٢. قلَّة التُّربة على الأرض.
٣. أيُّ جسمٍ يعود، حيثُ يتبدَّل جِسم الإنسان طيلةَ عُمره.
٤. أين ستقع القِيامة والمعاد؟

ثَامنًا: شُهدَاءُ المَحكَمَة الكُبرَى للمَعَاد

يتحدَّث الكَاتب عن الحِسَاب والكِتاب والمِيزان؛ «حيثُ ستقوم مَحكمةُ القيامة مَحكمة عظيمة، والَّتي لا بدَّ أن يحضرها الجميع دون استثناء، ويمثُلوا للمحاكمة؛ حيثُ سنتعامل مع عالَم آخر مُختلف كليًّا عن عالمنا، عالم يفوق بمراتب هذا العالم سموًّا ورِفعةً، ولا ينطوي على حياته المُملَّة المُتعبَة، كالتَّوأمين بالضَّبط في بطن أُمّهما -فرضًا- يضعون ألفاظًا من أجل قضاء حاجاتهما، فمن البديهيّ، أنَّهما حين يُولدان ويريان أنواع المَشاهد والمَناظر والكائنات والظَّواهر والأفراد والأشخاص، فليس أمامهما من سبيلٍ سوى التَّفاهم عن طريق الإشارات وحركة العُيون والحواجب من أجل إفهام الآخرين ما يريدان، لأنَّ قاموسهما في مرحلة الجَنين قد لا يشتمل على عَشر مُفردات، والحال يحتاج العالم الواسع الفعلي إلى عشرات آلاف المُفردات للتَّعامُل مع مطالبه ومفاهيمه، فسِعة ذلك العالَم بالنّسبة لعالمنا، كنسبة هذا العالم إلي عالم الجنين»[2].

وفي موقع آخر يُبيّن لنا المُؤلّف شهداء يوم القيامة، وهم: الذَّات القُدسيَّة المُطهرَّة (الأنبياء)

١ - مكارم الشيرازي، المعاد وعالم ما بعد الموت، ص٢٠٢ وما بعدها.
٢ - مكارم الشيرازي: المعاد وعالم ما بعد الموت، ص٢١٨ وما بعدها.

والأعضاء كالرّجل واليد والأرض والملائكة، حيثُ يكون هناك ميزان للأعمال، يقولُ -تعالى-: ﴿**والسَّماءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ**﴾ [الرحمن: ٧].

وحـوَّل موضوع الثَّـواب والعِقاب وتجسـيم الأعمال، وهو أمـرٌ أساس في يـوم القيامة الَّتي سينال فيها الإنسـان جزاءَ وعاقبةَ ما جنته يداه في الدُّنيا؛ حيثُ إنَّ الدُّنيا هي مزرعة الآخرة، يؤكّد لنـا الكَاتب، أنَّ أعمالنا وأفعالنا في هـذه الدُّنيا نعتبرها مُجرَّد حركات عابـرة، ولكنها مُثبتة كلّها وستُعرض علينا كموجودات مستقلَّة يوم القِيامة، ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ**﴾ [الزلزلة: ٧-٨][1].

وفي فقرته الأخيرة حول الجنَّة والنَّار وعلامات يوم القيامة -من زلزلة، وانطفاء جذوة الشَّمس، وغيرها- يُوضّح الكَاتب أنَّ عذاب يوم القِيامة خالدٌ، ونعيم الله -تعالى- في ذلك اليوم باقٍ وخالد ﴿**فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلا تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [يس: ٥٤].

خَاتِمَةٌ

في نهاية مُراجعتي وقراءتي لهذا الكِتاب المُهم، أجدُ من الضروريّ الإشـادةَ بما أورده الكَاتب من أفكار، وشُروحات، وتفسـيرات لكثيرٍ من المسـائل المُتعلّقة بالموت وعالَم المَعاد، يُمكن الانتفاعُ منها واكتسابُ معرِفةٍ حقيقيَّةٍ فيها.

١ - مكارم الشيرازي: المعاد وعالم ما بعد الموت، ص٢٣٣ وما بعدها.